حقيبة

للأسف باءت كل جهودي لجعلها تبدو قصة خيالية بالفشل :)

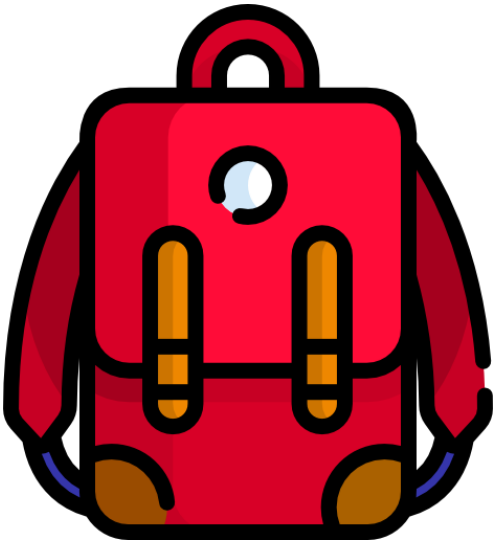

أحمد شلبي
ماينوث، ايرلندا
٢٠٢٦/١/١
كل سنة وانتوا طيبين.. سنة سعيدة وجميلة عالجميع يا رب :)

حقيبة

للأسف باءت كل جهودي لجعلها تبدو قصة خيالية بالفشل :)

استيقظت يومها صباحًا مفعمًا بالأمل والتفاؤل بالرغم من ما حدث بالأمس. كنت حينها في الصف الثاني الاعدادي. حصلنا على درجات الشهر الدراسية بالأمس وكانت سيئة للغاية على غير عادتها، أعلم انها أحيانًا تكون سيئة، لكنها لم تكن أبدًا بهذا السوء من قبل. كذلك كانت درجات كل أصدقائي الستة الآخرين في شلة **المعاليق السبعة**.

والمعاليق - ان لم تكن تعلم يا صديقي العزيز - في اللغة هي جمع تكسير ومفردها مُعولق، والمُعولق هي صيغة التفضيل والمبالغة معًا من صفة العِلق. والعِلق هو الإنسان الذي لا يعرف مصلحة نفسه ومثاله سيأتي بالتفصيل، ليس مثالًا واحدًا فحسب، بل سبعة أمثلة متشابهة في عنفوانها حتى تتعلموا جميعًا يا أعزائي، أما أنا فقد تعلمت الدرس جيدًا منذ ذلك اليوم والحمد لله.

اخفيت شهادة الدرجات عن والداي حتى أتمكن من إيجاد طريقة ما، فلابد له من أن يوقعها. لم اكن قلقًا كثيرًا بهذا الشأن، قد فعلت ذلك كثيرًا. لكن هذه المرة درجاتي كانت في انحدار عنيف الى الاسفل وكأنها صارت كتفاحة نيوتن وخضعت هي الأخرى لقوانين الجاذبية.

سر تفاؤلي ذلك الصباح هو انني انا وجميع افراد الشلة قد اجتمعنا بالأمس في فناء المدرسة واقمنا مجلسنا المعتاد، مجلس شورى المعاليق. وبعد مشاورات دامية ومباحثات مطولة لا تتسم سوى بالسطحية التي تنضح بها وجوهنا الساذجة قررنا نحن البنود الآتية:

١- اننا مللنا من سوء نتائجنا المدرسية هذه للغاية ولابد من وضع حد لهذه المهزلة بشكل نهائي.
٢- قررنا عمل جدول مذاكرة جماعي سنلتزم به جميعًا خلال الثلاثة أشهر المتبقية لذلك العام الدراسي.
٣- أن نخصص جزء من مصروفنا الشهري لشراء كراريس للمذاكرة.
٤- أن يشجع بعضنا بعضًا على المذاكرة بشكل مستمر.

كنت اعلم جيدًا اننا مجموعة فشلة لكنني لم اكن اكتشفت بعد اننا أيضًا حمقى. كنا على وشك الرحيل بعد الاجماع على تلك البنود والاتفاق على ما سنذاكره بالغد. كلنا رغبة وحماس بالجد والاجتهاد. حتى جاء صوت سابعنا، اكثر المعاليق علوقية - خالد - خرج صوته من العدم كالخازوق، واقترح الآتي بصوته الشيطاني..

- ايه رأيكم يا رجالة نروح السينما بكرة نشوفلنا فيلم ولا حاجة ونروق على دماغنا شويه قبل ما نبدأ خطة المذاكرة الطحن دي.. بيقولوا في فيلم كوميدي جديد مكسر الدنيا اليومين دول.. ضحك للركب يا جدعان.

ثم سكت في خبث يستطلع الوجوه المتحمسة للجد والعمل. نظر كل منا للآخر في صمت. ثم عدنا مرة أخرى للنقاش حول هذا الاقتراح العاجل

والمباغت لقدراتنا على الالتزام، وبعد مباحثات تتسم بسذاجة اكبر وسطحية اعمق قررنا نحن الآتي:

١- أن نذهب - كما توقعتم جميعًا - الى السينما بالغد.
٢- أن نقطع جدول المذاكرة الذي صنعناه للتو.
٣- أن نصنع جدول مذاكرة آخر جديد مرحلّين كل شيء ليوم واحد.

اعتقدنا انه مجرد يوم واحد ليس الا، من يعبأ بيوم واحد يا سادة. لكننا لم نكن نعلم انها اللعنة. وقد كانت هذه آخر مرة يقام فيها ذلك المجلس البائس.

اجتمعنا في فناء المدرسة في الفسحة التي قررنا خلالها الهروب من المدرسة للذهاب الى السينما. قفزنا نحن السبعة من فوق السور وانطلقنا الى محطة القطار. اشترينا تذاكر القطار بالنقود التي كانت من المفترض مكرسة لشراء كراريس للمذاكرة. نفذت كل مقاعد القطار السريع الملقب بالإكسبرس، فاضطررنا ان نأخذ القطار الأبطأ المجرم عالميًا والملقب عن جدارة بالقشاش.

القطار بعد نصف ساعة. لكن كانت هناك مشكلة صغيرة للغاية، لا نود أن ندخل الى السينما وعلى ظهورنا حقائبنا المدرسية، سنبدو حينها كمجموعة من المراهقين الذين هربوا لتوهم من المدرسة للذهاب الى السينما. كنا كذلك بالتأكيد لكننا لم نكن نرغب في أن نبدو كذلك. سمها نرجسية سمها مراهقة سمها ما شئت. وقفنا في صمت لا نعلم اين نترك الحقائب. خرج صوته من العدم مرة أخرى كالخازوق، نعم انه خالد قائلًا..

- ايه رأيكم نخبي شنطنا تحت أي شجرة من شجر جنينة البرتقال الكبيرة اللي قدام المحطة دي، وناخدهم لما نرجع بليل.. كده كده الجنينة دي محدش بيقرب لها.

بدا كلامه منطقي لأول مرة في حياته، فهناك جنينة برتقال واسعة جدًا مقابلة لمحطة القطار، نادرًا ما يدخلها احد ويكثر حولها القيل والقال. تبدو فكرة تركنا للحقائب تحت احد الاشجار واخذها عند عودتنا مقنعة للجميع الى حد كبير، لكن أي شجرة نختار؟

وبعد تفكير سريع اتفقنا ان نترك الحقائب تحت الشجرة التي تقع في منتصف الجنينة كلها. كانت الحجة وراء ذلك انه لو فرضًا دخل شخص ما الجنينة من أي من جوانبها فإن احتمالية مرروه بجوار تلك الشجرة شبه منعدمة - ان لم تكن مستحيلة - فجنينة البرتقال هذه شاسعة للغاية. حتي وإن مر بجوارها، فمن هذا الذي سيعبأ بسبعة حقائب مدرسية متروكين هناك. بدت حجة منطقية لنا جميعًا خصوصًا تحت ضغط الوقت ووصول القطار المرتقب.

تركنا الحقائب تحت تلك الشجرة وهرولنا سريعًا مرة أخرى الى المحطة ولحقنا بالقشاش. وصلنا الى السينما متأخرين قليلًا. قطعنا التذاكر ودخلنا محدثين ضجة أثارت اشمئزاز كل من كان هناك.

كان فيلماً جميلاً. لم نكف عن الضحك خلاله، لكنه على جماله يبقى فيلمًا في نهاية المطاف فلا شيء حقيقي هناك. ولكن بينما كنا نقهقه يومها كالحمقى كان هناك فيلم آخر تسطر احداثه بعناية وتطبخ على نارٍ هادئة. فيلمًا واقعيًا هذه المرة، واقعيًا للغاية. فيلم مليء بالإثارة والغموض، مليء بالأكشن والرعب،

مليء بالكوميديا السوداء والخيال العلمي. فيلم زبادي خلاط يا سادة، ستجد فيه كل ما تريد بل اكثر مما تحلم.

رجل ما مجهول الهوية وصل لتوه الى محطة القطار قادمًا من القاهرة وكان يريد التبول بشدة، لكن حمام المحطة كان قذرًا ومزدحماً للغاية كعادته. كان لابد له ان يجد حلًا وبسرعة. لك أن تتخيل معي يا عزيزي وتتخيلي معي يا عزيزتي أن ذلك الرجل المجهول لم يجد امامه على مد البصر سوى جنينة البرتقال. ومن عشرات الآلاف من الاشجار لم يجد الا شجرتنا المشؤومة تلك ليحرر بجوارها بوله المقدس. اعتقد والله أعلم انه فكر بسرعة مثلنا تمامًا واختار تلك الشجرة الأبعد نظريًا عن أعين الجميع فالسرية مطلوبة كما نعلم في مثل هذه المهمات الطارئة.

كان من المنطقي أن يشعر ذلك الرجل المجهول بارتياح شديد بعد أن فرغ من مهمته التي جاء خصيصًا من اجلها. هذه الراحة جعلته يتعجب من وجود هذه الحقائب السبعة وسط تلك الجنينة الواسعة ويتساءل لماذا هي هنا؟ وبمزاج شديد فتح كل الحقائب وقرأ الأسماء المكتوبة على كتبها لعله يتعرف على احدها. وبكامل الحزن والأسى ولسوء الحظ العاثر يبدو انه تعرف على اسم واحد من أباءنا.

وكما تقول ويقول ويقولون **الطريق الى جهنم معبد بحسن النوايا**. فإن حسن نوايا ذلك الرجل ارسلتنا جميعًا كما سنعرف لاحقًا الى الجحيم. ارسلتنا بالقطار، لكنه كان اكسبرسًا هذه المرة.

حقيقة ذلك الرجل تبقى سرًا لنا جميعًا الى الآن، لكنني لا اخفيكم سرًا، لو عرفت من هو هذا الرجل لما ترددت في اغتياله، في الواقع كان هذا القرار الوحيد الذي اتفقنا عليه نحن السبعة بدون أدنى جدال بعد ان تجرعنا مرارة حسن نواياه ذلك اليوم.

انتهي الفيلم واخذنا القطار، وصلنا الى الشجرة المرجوة لكننا لم نجد الحقائب، يبدو أن احد سرقها، ماذا نفعل الآن؟ لم نشأ ان نعكر صفونا بفقدان الحقائب فقد كنا لانزال منتشين بأجواء الفيلم. كذبة أخرى او كذبتين وسيُحل الموضوع. صار الكذب يجري في عروقنا. اتفقنا ان يعود كل منا الى بيته ونناقش امر الحقائب في الغد، فقد صار الوقت متأخرًا عن المعتاد خصوصًا انه قد حان موعد عودة أبي من عمله ولا اود ان أعود الى البيت بعده.

أبي حلواني، لديه محل حلويات وهو احسن من يصنع الكنافة في المدينة كلها، ليس فقط بشهادتي انما بشهادة كل من تذوقها. يصنعها بحب شديد، يقطعها بعناية ويضعها في عُلب من الورق المقوى، يغلفها بورق الهدايا اللامع، ثم اخيرًا يربطها بشرائط السلوفان بمهارة شديدة ويصنع لها فيونكات في منتهى الجمال. اعتقد انه امهر من يتلاعب بشرائط السلوفان، لم أرى في حياتي احدًا في مثل مهارته، يستطيع ان يزين به أي شيء، لذلك استحق عن جدارة لقب **دافنشي السلوفان** الذي كنت القبه به.

عدت للبيت جريًا. طرقت الباب بقوة، فتحت امي الباب، ارادت ان تقول لي شيئًا بسرعة، لكنني اعترضتها وجريت الى الحمام باستعجال قائلًا..

- معلش يا ماما مزنوق جامد..

خرجت من الحمام، وبالفعل قد عاد أبي قبلي الى البيت. كانت مائدة العشاء مُعدة ويجلس أبي وأمي في انتظاري فانضممت اليهم. كانت امي تنظر اليّ من حين الى آخر نظرات مليئة بالشفقة لكنني كنت احمقًا تمامًا ولم انتبه الى اشاراتها. سألني أبي قائلًا..

- ايه اللي اخرك لحد دلوقتي؟
- كنت بذاكر مع محمود والمذاكرة خدتنا شويتين معلش..
- وايه اخبار درجات الشهر مش سامع عنها حاجة يعني؟
- لأ شهادة الدرجات لسا مخدنهاش.. بس الدرجات كلها حلوة.. المدرسين عرفوني الدرجات النهاردة في الحصة..

تحولت نظرات أمي الى شيء من الحسرة على كل هذه الفرص الضائعة لقول الحقيقة، وكأن لسان حالها يقول "ابوس ايدك قول الحقيقة واخلص ومتكدبش اكتر من كده خلي ليلتنا دي تعدي على خير." أكمل ابي استجوابه قائلًا..

- امال فين شنطتك مش شايفك داخل بيها يعني؟
- منا كنت مزنوق جامد وعايز اعمل حمام عشان كده جيت جري.. فسبت الشنطة عند محمود عشان مش هعرف اجري بيها..

نسيت أن اخبركم ان أبي رجل طيب للغاية لكنه يكره عدة أشياء، يكره الكذب، ويكره الدرجات السيئة، ويكره ان يستغفله أحد ظنًا منه انه لن يدري، ويكره الهروب من المدرسة، واخيرًا يكره السينما. وانا فعلت كل ما

سبق مع سبق الإصرار والترصد، فانا في وجهة نظره الآن ليس امامي الا ان اسلم اوراقي الى فضيلة مفتي الديار. استطرد ابي قائلًا..

- طب روح اوضتك انا محضرلك مفاجأة..

قاطعته صارخًا من الفرحة قائلًا..

- كنافاااااا

كانت صرختي عالية للغاية لدرجة منعتني من سماع ما تفوه به ابي بعد ذلك عندما قال..

- وانا جي وراك اهه..

كان كل ما ورد الى ذهني الأحمق في تلك اللحظة ان ابي احضر لنا كنافة، يعرف انني اعشقها. جريت بسرعة الى الحجرة في لهفة الى علبة الكنافة المغلفة بعناية والمُزينة بفيونكات السلوفان. انه ابي دافنشي السلوفان كما اخبرتكم.

وصلت الى باب غرفتي ونظرت الي مكتبي وتسمرت مكاني كالتمثال. رأيت الفيونكات الملونة لكنها لم تكن على علبة كنافة ولم تكن مصنوعة من السلوفان. كل ما وقعت عليه عيني كان مشهد سريالي يتسم بالتجريد والعنف معًا. وجدت حقيبتي المدرسية على المكتب وملفوفة بعناية بحزام جلد لونه أحمر وبجوارها وُضعت شهادة درجاتي المدرسية وما تحتويه من درجات سيئة وملفوفة هي الأخرى بحزام جلد لكنه كان بُني هذه المرة.

آسف مرة أخرى وأتمنى ان تكون الأخيرة، فقد نسيت أن اخبركم ان مهارات ابي في التلاعب بشرائط السلوفان جعلته للأسف ماهرًا جدًا في استخدام سلاحه المفضل **حزام البنطلون**. مهاراته في اللسع بالحزام خارقة للغاية، وهو ما اضطرني الى ان أُلقبه للأسف أيضًا بلقب **دافنشي الحزام**.

يستطيع أبي أن يروض ضحاياه بدقة بالغة، والمُراد من ضحاياه هنا هو العبد لله فقط لا غير. وجعلت ضحاياه في صيغة الجمع للتعظيم، ليس ذلك التعظيم اللغوي الذي تعرفونه والذي أُلقبه بتعظيم النفخ، أي انك تنفخ في ذاتك وتتباهى بها الى حد التعظيم. انما التعظيم الذي اردتُ هو تعظيم آخر تمامًا وهو ما اسميه بتعظيم ما قبل النفخ، وهو ان يعظمني أبي ويرفعني من رتبة الضحية الى رتبة الضحايا حتى يتمادى في النفخ كما يحب ويرى وصولًا الى حد الاستكفاء والتشبع.

آسف على هذا الاستطراد الغير مجدي تمامًا وخصوصًا في مثل هذه الأوقات الحرجة. أردت فقط ان أقول ان ابي قادرًا على ترويض ضحاياه بحزامه افضل من مروضي الثيران الاسبانيين ومحاربي الساموراي اليابانيين وراقصي الكابويرا البرازيليين ولاعبي الكونغ فو الصينيين ومقاتلي الفايكنج الايسلنديين ومصارعي الأسود الأفارقة وضاربي النبوت الصعايدة ومداعبي قرن الغزال الدمايطة وأي حد بيعرف يعمل أي حاجة في أي حتة وعلى ضمانتي.

لما تتمالك قدماي على حملي فجلست على كرسي المكتب امام هذه الاحراز. سمعت بعض الهمسات التي تدور بين ابي وامي في الصالة لكنها انتهت بشكل قاطع عندما قال ابي بحسم..

- خشي جوه انتي وملكيش دعوة خالص..

سمعت امي تدخل الى غرفتها وتغلق ورائها الباب بهدوء. قضي الامر الذي فيه تختلفون، بدا اكيدًا حينها انني فقدت قوات التدخل السريع المتمثلة في امي لتجنبني الكثير من اللسعات وتعمل جاهدة على انهاء النزال بأقل قدر ممكن من الدماء.

نظرت الى كتفي فوجدته وضع يده اليمنى التي تدلى منها حزام ثالث اسود هذه المرة ليكتمل المشهد السريالي العنيف. كان كل ما يدور في ذهني حينها هو ذلك الهاجس الذي لم استطع بالتأكيد البوح به "ايه يا حاج كل الاحزمة دي.. احمر وبني وكمان اسود.. احنا ليلتنا كاراتيه ولا ايه.. استهدى بالله مش كده."

وقبل ان تبدأ تلك المجزرة أُحادية الجانب، نظر الي وهو يفتتح رابطتا الشهادة والحقيبة. ثم بدأ بتشمير اكمام قميصه بهدوء شديد بينما تمسك كل يد بحزام وغمز اليّ بطرف عينيه الضيقتين قبل ان تتلبسه أرواح الساموراي.

ثم اخذ شهيقًا عميقًا، وبسخرية شديدة معلنًا بداية النهاية او نهاية البداية، سمها ما شئت فلا مجال الآن لمثل هذه الترهات اللغوية فالمجال كل المجال للقفزات اللولبية واللسعات الشقية والرقصات البهلوانية اللا ايقاعية، قال لي..

يااااا مرحبا